مقاصد التّكرار في القرآن

فاتح بوزرى جامعة الجزائر -2- قسم علوم اللّسان - الجزائر- fouzera@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/27 تاريخ القبول: 2022/01/23

ملخّص

إنّ دراسة كلام الله تعالى وتحليله، ومحاولة تفسيره وتأويله، وبذل الجهد في استجلاء معانيه، واستنباط مقاصده، واستخلاص أغراضه وعلل بنائه، ومرامي أهدافه والاجتهاد الدّائم للوصول إلى إعجازه، لهي الغاية وراء كثير من فروع الدّراسات اللّغوية القديمة والحديثة؛ بمختلف مذاهبها وتعدّد مساراتها وتنوّع مناهجها.

إنّ ظاهرة التّكرار عامّة مألوفة في شتّى اللّغات والفنون، وأسلوب موجود في اللّغة العربية لم ينكره أحد من أهلها -إلاّ نزر قليل ممن ذمّوه ووسموه بالقبيح- وطريق من طرق تعبيرهم، ومسلك من مسالك لغتهم، وفن لغوي أصيل قبل أن يكون فنا بلاغيا محدثا.

لذا سنقوم في هذا المقال بدراسة مقاصد التّكرار في القرآن الكريم عند مجموعة من العلماء - الجاحظ، ابن جني، ابن سنان الخفاجي، بدر الدّين الزركشي-، وسنحاول اكتشاف أسراره التي يأتي من أجلها؛ حيث ينشر ظلاله على كثير من أبواب الكلام، ويزيّنها بوشي من الاتّساق والالتحام، ويطرزها بأفانين من التآلف والانسجام.

الكلمات المفتاحية:

التكرار - المقصد - التوكيد - الفهم -- القرآن - الاتساق - الانسجام.

المؤلف المراسل: فاتح بوزرى، البريد الالكتروني: fouzera@yahoo.com

Les Intentionnalité de la répétition dans le Noble Coran

Résumé

Le phénomène de la répétition est général dans diverses langues et arts, et un style trouvé dans la langue arabe qu'aucun de ses locuteurs n'a nié - à l'exception de quelques-uns de ceux qui l'ont dénoncé - la répétition et l'un des moyens d'expression, et l'une de leurs voies linguistiques, et un art linguistique authentique avant d'être un art rhétorique moderne.

Dans cet article, nous étudierons les Intentionnalité de la répétition dans le Noble Coran selon un groupe de savants, et découvrirons ses secrets pour lesquels elle vient ; Où il étend ses ombres sur de nombreuses portes de la parole, et les décore d'un buisson de consistance et de cohésion, et de cohérence.

Mots clés:

Répétition - Intentionnalité - Affirmation - Comprehension - Coran - Cohésion - Cohérence.

The intentionality of repetition in the Noble Qur'an

Abstract

The phenomenon of repetition is general in various languages and arts, and a style found in the Arabic language that none of its speakers have denied - except for a few who have denounced it - repetition and one of the means of expression, and one of their linguistic channels, and an authentic linguistic art before being a modern rhetorical art.

In this article, we will study the intentionality of repetition in the Noble Qur'an according to a group of Scientists, and discover its secrets for which it comes; where he decorates them with a bush of coherence and cohesion.

Keywords:

Repetition - Intentionality - Affirmation - Understand - Qur'an - Cohesion- Coherence.

مقدّمة

يدخل التّكرار بشكل لافت في بناء النّصوص والخطابات؛ لما يتوفّر عليه من إمكانات فنّية وافرة الدّلالة، وقوّة كبيرة في ترابط النّصوص وانسجامها، وتحقيق الأغراض ومقاصدها؛ وهناك ارتباط وثيق بين النّحو والبلاغة؛ لأنّ فهم المعنى مرتبط بالنّحو، والنّحو يساعد على إدراك البلاغة، والبلاغة تساعد على فهم الدّلالات والعلاقات والأغراض المسوقة في الكلام.

ويظهر لمتتبع التّكرار عبر النّصوص التي أوردها البلاغيون واللّغويون اهتمامهم بالعمليّة التّخاطبية بما فيها: المتكلّم والنّص والمتلقي (من خلال إلحاحهم على البعد التّأثيري) والسّياق والمقاصد (من خلال التّذكير دائما بالفائدة مرّة وبالنّكتة أخرى وبالحكمة مرّة أخرى).

فما هي أهم المقاصد التي يجري استعمالها بواسطة آلية التكرار؟ وما هي الطرق التي يأتي على إثرها التّكرار لتحقيق مختلف الوظائف النّصية والتّداولية؟

1. تعريف التّكرار

1.1. لغة: "التّكْرَار: هُوَ مصدر ثلاثي يُفِيد الْمُبَالغَة كـ (التّرداد) مصدر (ردّ) عِنْد سِيبَوَيْهِ، أَو مصدر مزِيد أَصله (التّكرير) قلب الْيَاء ألفا عِنْد الكوفية، وَيجوز كسر التَّاء فَإِنَّهُ اسْم من (التّكرر)" (الكفوي، ص 297).

و"(كَرَّ) "الْكَافُ وَالرَّاءُ" أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ وَتَرْدِيدٍ؛ مِنْ ذَلِكَ كَرَرْتُ وَذَلِكَ رُجُوعُكَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَرَّةِ الْأُولَى ... وكَرَّرَ الشَّيْءَ وكَرْكَره: أَعاده مَرَّةً بَعْدَ أُخرى ... وَيُقَالُ: كَرَّرْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وكَرْكَرْتُه إِذا رَدَّدْتُهُ عَلَيْهِ" (الزَّبيدي، ج14، ص 28).

بعد النّظر في مادة (ك رر) يتبيّن لنا تضمّنها للأمور الآتية:

1. معنى الجمع والردّ والرّجوع والعودة والرّبط (الحبل الذي يصعد به إلى النّخيل).

2. يستوي في ذلك قولنا "كَرَّرْتُ الشَّيْءَ **تَكْرِيراً وتَكْراراً**"، "قَالَ أَبو سَعِيدٍ الضَّرِيرُ: قُلْتُ لِأَبِي عَمْرٍو: مَا بَيْن **"تِفْعالٍ وتَفْعال"**؟ فَقَالَ: **تِفْعالٌ اسْمٌ، وتَفْعالٌ، بِالْفَتْحِ، مَصْدَرٌ"** (الفارابي، 1987م، ج2، ص 805).

3. اقتراب ظاهرة التّكرار من مفهوم التوّكيد اللّفظي إلاّ أنّ بينهما فوارق[1].

2.1. اصطلاحا: المقصود بالتّكرار هو تكرار المعاني والألفاظ؛ [ويعدّ] هذا النّوع من مقاتل علم البيان، وهو دقيق المأخذ، يقول ابن الأثير (ت 637هـ): "حدّه هو: **دلالة اللّفظ على المعنى مردّدا**" (ابن الأثير، 1420هـ، ج2، ص ص 146-171).

2. أقسام التّكرار وأنواعه

هناك تقسيمات كثيرة ومختلفة للتكرار **يقول ابن الأثير**: "ينقسم [التّكرار] إلى قسمين: **أحدهما:** يوجد في اللّفظ والمعنى، **والآخر:** يوجد في المعنى دون اللّفظ، فأمّا الذي **يوجد في اللّفظ والمعنى**؛ فكقولك لمن تستدعيه: "أسرع أسرع"، وأمّا الذي **يوجد في المعنى دون اللّفظ** فكقولك: "أطعني ولا تعصني"؛ فإنّ الأمر بالطّاعة نهي عن المعصيّة؛ وكلّ من هذين القسمين ينقسم إلى مفيد وغير مفيد؛ [و] مقصودي من المفيد أن يأتي لمعنى، وغير المفيد أن يأتي لغير معنى" (ابن الأثير، 1420هـ، ج2، ص 146).

ولا يوجد في القرآن مكرر لا فائدةَ في تكراره، فإن رأيت شيئًا منه تكرر من حيث الظاهر فأمعن نظرك فيه، فانظر إلى سوابقه ولواحقه؛ لتنكشف لك الفائدة منه (ابن الأثير، 1420هـ، ج2، ص 149).

1.2. من حيث اللّفظ: ينقسم إلى تكرار حرف، وتكرار اسم وتكرار فعل، وتكرار كلمتين أو ثلاث، وتكرار جملة أو شطر من البيت أو البيت كاملا، أو تكرار بعض آية، أو تكرار آية، أو تكرار فاصلة، أو تكرار جملة، أو تكرار قصة.

2.2. من حيث اللّفظ والمعنى: تكرار في اللّفظ والمعنى، وتكرار في اللّفظ دون المعنى، وتكرار في المعنى دون اللّفظ، ومنه تكرار الأمثال، تكرار الأنباء، تكرار الأوامر، تكرار النّواهي، تكرار المواعظ، تكرار الأنبياء، تكرار للقصص.

3.2. من حيث الإفادة: تكرار مفيد، وتكرار غير مفيد (ابن الأثير ، 1420هـ، ص 146).

4.2. من حيث الحسن والقبح (باعتبار بلاغي): تكرار حسن وتكرار قبيح.

3. منزلة التّكرار من البيان عند جعل الجاحظ[2]

جعل الجاحظ (ت 255هـ) التّكرار من البيان؛ وذلك حينما يريد الإنسان إفهام

المخاطَب؛ بل يَستحسنه ويدعو إليه إذا لم يفهم السّامع عن المتكلّم.

والبيان -عند الجاحظ- هو "اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السّامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدّليل؛ **لأنّ مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسّامع، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع**" (الجاحظ، 1423هـ، ج1، ص 11).

إنّ (الفهم والتّفهم) -التي كرّر ذكرها الجاحظ عند حديثه عن التّكرار- هي الرّكيزة الأساسيّة، واللّبنة المركزيّة، وعمود الخيمة التي تبنى عليه؛ وإذا سقط العمود سقطت الخيمة على من تظلّ ومن تحمي، قال الجاحظ: "مدار الأمر على البيان والتّبيين، وعلى الإفهام والتّفهم؛ وكلّما كان اللّسان أبين كان أحمد، كما أنّه كلّما كان القلب أشدّ استبانة كان أحمد؛ والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل، إلاّ أنّ المفهم أفضل من المتفهّم، وكذلك المعلّم والمتعلّم ... [وهذا] الإمام إبراهيم بن محمد يقول: "يكفي من حظّ البلاغة أن لا يؤتى السّامع من سوء إفهام النّاطق، ولا يؤتى النّاطق من سوء فهم السّامع"" (الجاحظ، 1423هـ، ج1، ص 90).

وقد ذكر -الجاحظ- لنا قصة في معرض حديثه عن التّلقي والقبول أو الرّفض والإعراض من قبل السّامع فقال: "جعل ابن السّماك يوما يتكلّم وجارية له حيث تسمع كلامه، فلمّا انصرف إليها، قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: **ما أحسنه، لولا أنّك تكثر ترداده. قال: أردّده حتى يفهمه من لم يفهمه. قالت: إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد ملّه من فهمه**" (الجاحظ، 1423هـ، ج1، ص ص 105 - 106)، ولهذا فإنّه لا خير في كلام لا يدلّ على معناك، ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزعت؛ لأنّ مدار الأمور والغاية التي يجري إليها، الفهم ثم الإفهام.

قال سعيد بن سلّم لأمير المؤمنين المأمون: "لو لم أشكر الله إلاّ على حسن ما أبلاني في أمير المؤمنين، من قصده إليّ بحديثه، وإشارته إليّ بطرفه، لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشّريعة، وتوجبه الحرّية". فقال المأمون: "لأنّ أمير المؤمنين يجد عندك من

حسن الإفهام إذا حَدَّثْتَ، وحسن التّفهّم إذا حُدِّثْتَ، ما لم يجد عند أحد فيمن مضى، ولا يظن أنه يجده فيمن بقي" (الجاحظ، 1423هـ، ج2، ص 27).

فالترداد -عند الجاحظ- أمر دقيق لا يؤتى على وصفه، **فتارة يكون سبيلا للإفهام، وتارة يكون طريقا إلى قلوب العوام، ومرّة من فنون البلاغة وضروب الكلام**، وتارة أخرى باعثا للملل والسّآمة إذا تمّ الفهم وعلم المراد، أو يكون ضربا من ضروب العيّ كأن يكون فضولا بلا غرض ولا علّة؛ "وجملة القول [حسب كلام الجاحظ] **في التّرداد، أنّه ليس فيه حدّ ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه؛ وإنّما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص**" (الجاحظ، 1423هـ، ج1، ص ص 105 - 106).

وقد ذكّرنا الجاحظ بكلام الله -عز وجلّ- والقصص الوارد فيه فقال: "رأينا الله -عزّ وجلّ- ردّد ذكر قصّة موسى وهود، وهارون وشعيب، وإبراهيم ولوط، وعاد وثمود، وكذلك ذكر الجنّة والنّار وأمورا كثيرة؛ **لأنّه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبيّ غافل، أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب، وأمّا أحاديث القصص والرّقة فإنّي لم أر أحدا يعيب ذلك**" (الجاحظ، 1423هـ، ج1، ص ص 105 - 106).

وقال في موضع آخر: "**وما سمعنا بأحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ وترداد المعاني عيّا**" (الجاحظ، 1423هـ، ج1، ص ص 105 - 106)؛ لأنّ التّكرار ليس عبئا ما دام لحكمة كتقرير المعنى، ولا ترداد الألفاظ بعيب ما لم يجاوز مقدار الحاجة ويخرج إلى العبث، ولا الترداد عيّ لأنّه أمر يتّصل بأقدار المستمعين، فإذا "أعطيت كلّ مقام حقّه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدوّ، فإنّه لا يرضيهما شيء، وأمّا الجاهل فلست منه وليس منك، ورضا جميع النّاس شيء لا تناله، وقد كان يقال: "رضا النّاس شيء لا ينال"" (الجاحظ، 1423هـ، ج1، ص 114).

4. التّكرار عند ابن جني

بوّب **ابن جني** (ت 392هـ) في كتابه الخصائص بابا بعنوان: **(باب الاحتياط)**؛ وذكر

فيه "أنّ العرب إذا أرجأت المعنى مكّنته واحتاطت له" (ابن جني، ج3، ص 104 - 106).

وجعل ابن جني من أدوات الاحتياط التي يُسْتَعان بها **التّوكيد**، وهو التّابع الذي "يقرر أمر المتبوع في النّسبة أو الشّمول، وقيل: **عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله**" (الشريف الجرجاني، 1983م، ص 50)؛ فيُمكّن للشّيء السّابق في النّفس، ويقوّي أمرَه؛ وفائدته إزالة الشّكوك وإماطة الشّبهات عمّا أنت بصدده، وهو دقيق المأخذ، كثير الفوائد.

وفوائده كثيرة عديدة؛ منوطة بالقصد، مرتبطة بالسّياق، محكومة بالمخاطِب والمستمع؛ فإذا "كرّرت فقد قرّرت المؤكّد وما عُلّق به في نفس السّامع، ومكّنته في قلبه، وأمطت شبهة ربما خالجته، أو توهّمت غفلة أو ذهاباً عمّا أنت بصدده فأزلته"، لذا كانت الاستعانة به في اللّغة العربية أمرا ضروريا.

يقول ابن يعيش (ت 643هـ) النّحوي فائدة التّأكيد **"تمكينُ المعنى في نفس المخاطب، وإزالةُ الغَلَط في التّأويل**؛ وذلك من قِبَل أن المجازَ في كلامهم كثيرٌ شائعٌ، يُعبّرون بأكثرِ الشيء عن جميعه، وبالمسبَّب عن السبب، ويقولون: "قام زيدٌ"، وجاز أن يكون الفاعلُ غلامَه، أو ولدَه، و"قام القومُ"، ويكون القائمُ أكثرهم، ونحوَهم ممّن ينطلِق عليه اسمُ القوم.

وإذا كان كذلك، وقلتَ: "جاء زيدٌ"، ربما تتوهمُ من السّامع غفلةً عن اسمِ المُخْبَر عنه، أو ذَهابًا عن مُراده، فيحمِلُه على المجاز، فيُزال ذلك الوَهْمُ بتكرارِ الاسم، فيقال: "جاءني زيدٌ زيدٌ".

وكذلك "النفسُ"، و"العينُ" إذا قلت: "جاءني زيدٌ نفسُه أو عينُه"، فيُزيل التأكيدُ ظَنَّ المخاطَب[3] من إرادةِ المَجاز، ويُؤْمِن غفلةَ المخاطب" (ابن يعيش، 2001م، ج2، ص 221).

و"كلّ" و"أجمعون" يجديان الشّمول والإحاطة والعُمومَ؛ والتّأكيدُ بهما لإفادةِ ذلك، فإذا قلت: "جاءني القومُ كلُّهم أجمعون"؛ جئتَ بالتّأكيد لئلّا يُفهَم غيرُ المراد؛ ولَكَ أن تأتي بـ "كُلّ" وحدَها، وبـ "أجْمَعَ" وحدَها؛ لأنّ معناهما واحدٌ في التّأكيد من جهةِ الإحاطة والعموم، فإن جمعتَ بينهما، فللمُبالغة في التّأكيد (ابن يعيش، 2001م، ج2، ص 222).

وقسم ابن جني التأكيد "على ضربين: أحدهما تكرار الأوّل بلفظه ... والثّاني تكرار

الأوّل بمعناه، وهو على ضربين: أحدهما للإحاطة والعموم والآخر للتّثبيت والتّمكين ... **الأوّل كقولنا:** "قام القوم كلّهم"، و"رأيتهم أجمعين"، ويتبع ذلك من اكتع وأبضع وأبتع وأكتعين وأبضعين وأبتعين ما هو معروف؛ "مررت بهما كليهما"، **والثّاني نحو قولك:** "قام زيد نفسه ورأيته نفسه"" (ابن جني، ج3، ص ص 104 - 106)، **وهكذا** [يقع] التّوكيد على وجهين: **تكرار صريح وغير صريح.**

أمّا التّوكيد الصّريح فيدعي أيضا بالتّوكيد اللّفظيُّ: ويكون بتكرارِ اللّفظ، وهو جار في كلّ شيء؛ يكون في: الأسماء، والأفعال، والحروف، والجُمَل، والمظهر والمضمر الزمخشري، 1993م، ص ص145 - 148)، وكلّ كلام تريد تأكيدَه.

الاسم: "رأيت **زيدًا زيدًا**"، و"هذا **زيدٌ زيدٌ**"، و"مررت **بزيدٍ زيدٍ**"، وقول مسكين الدارمي (ابن جني، ج3، ص 104):

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لاَ أَخَا لَهُ * كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلاَحِ

الفعل: قال الشّاعر:

أَلاَيَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي ثُمَّتَ اسْلَمِي ... [ثلاثَ تَحِياتٍ وإنْ لمْ تكَلَّمي]

ومن ذلك قول الشّاعر (ابن جني، ج3، ص 105):

فَأَيْنَ إِلَى أَيْنَ النَّجَاءُ ببغلَتِي؟...**أَتَاكِ أَتَاكِ** اللاحقوك احبسِ احبسِ

توكيد الجملةَ من الفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر: **"ضربتُ زيدًا، ضربتُ زيدًا"**، و**"جاءني محمدٌ، جاءني محمّدٌ"**، **وَ"الله أَكْبَرُ، اللهُ أكبرُ"**(ابن جني، ج3، ص 104).

توكيد الحرفَ: "إنّ إنّ زيدًا منطلقٌ".

قال الفضل بن عبد الرحمن القرشي:

لاَ. لاَ أَبُوحُ بحُبّ بَثْنَةَ إِنَّهَا ... أَخَذَتْ عَلَيَّ مَواثِقاً وَعُهُوداً

وتقول: **"زيدٌ قائمٌ في الدار قائمٌ فيها"**، فتُعيد فِيهَا توكيدًا، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (هود: 108)، إلاّ أنّ الحرف إنّما يُكرَّر مع ما يتّصِل به لاسيما إذا كان عاملًا.

وتقول: "ما أكرمَني إلّا أنت أنت"، فتُؤكّد الاسمَ المضمَر؛ لأنّ التّأكيد بصريحٍ يرجع إلى

لفظِ المؤكَّد كائنًا ما كان.

وأمّا التّوكيد غير الصّريح ويدعي أيضا بالتّوكيد المعنويّ؛ فإنّه يكون **بتكرارِ المعنى دون لفظه**، نحو قولك: "رأيت زيدًا نفسَه"، و"رأيتُكم أنفُسَكم"، و"مررتُ بكم كلّكم"، وجملةُ الألفاظ التي يؤكَّد بها في المعنى تسعةُ ألفاظٍ: **"نَفْسُهُ"، "عَيْنُهُ"، "أَجْمَعُ"، "أَجمَعُونَ"، "جَمعَاءُ"، "جُمَعُ"، "كُلُّهُم"، "كِلَاهُمَا"، "كِلْتَاهُما"**(ابن يعيش، ج2، ص 220).

5. التّكرار عند ابن سنان الخفاجي

تطرّق ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) إلى ظاهرة التّكرار في كتابه سرّ الفصاحة بعدما قطع شوطا طويلا في الحديث عن الأصوات والحروف ثم الكلام واللّغة وبعدها الكلام عن الفصاحة[4] التي جعل من شروطها تفادي التّكرار إلاّ إذا كان المعنى المقصود لا يتمّ إلاّ به، وقد جعل "تلك الشّروط تنقسم قسمين: فالأوّل: منها يوجد في اللّفظة الواحدة على انفرادها[5]، من غير أن ينضمّ إليها شيء من الألفاظ وتؤلّف معه، والقسم الثّاني: يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض[6]"، وفي هذا القسم تمّ الحديث عن وجوب اجتناب تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام.

وذكر ابن سنان الخفاجي حديثا مطولا عن التّكرار في كتابه هذا سرّ الفصاحة بعد التّمثيل والتّحليل فقال: "وهذا الذي أنكرناه من تكرار الألفاظ فنّ قد أولع به الشّعراء والكتّاب من أهل زماننا هذا، حتى لا يكاد الواحد منهم يغفل عن كلمة واحدة فلا يعيدها في نظمه أو نثره، ومتى اعتبرت كلامهم وجدته على هذه الصّفة، وما أعرف شيئاً يقدح في الفصاحة، ويغضّ من طلاوتها، أظهر من التّكرار، لمن يؤثر تجنبه، وصيانة نسجه عنه؛ إذ كان لا يحتاج إلى كبير تأمّل [و] لا دقيق نظر" (ابن سنان الخفاجي، 1982م، ص 106)، وقد مثل ببعض الشّعر قبل أن ذكر هذا الكلام فقال: "فأمّا قول أبي الطيب:

لَكَ الخَيرُ غَيري رامَ مِن غَيرِكَ الغِنى ... وَغَيري بِغَيرِ اللاذِقِيَّةِ لاحِقُ

وَمِن **جاهِلٍ بِي وَهوَ يَجهَلُ جَهلَهُ...وَيَجهَلُ عِلمي أَنَّهُ بِيَ جاهِلُ**

لأنّه ذكر (**الجهل**) خمس مرات وكرّر (**بي**) فلم يبق من ألفاظ البيت ما لم يعده إلاّ

اليسير، وأمّا قوله أيضاً:

فَقَلقَلتُ بِالهَمِّ الَّذي قَلقَلَ الحَشا ... قَلاقِلَ عيسٍ كُلُّهُنَّ قَلاقِلُ

غَثاثَةُ عَيشي أَن تَغِثَّ كَرامَتي ... وَلَيسَ بِغَثٍّ أَن تَغِثَّ المَآكِلُ

فقد اتّفق له أن كرّر في البيت الأوّل لفظة مكرّرة الحروف، فجمع القبح بأسره في صيغة اللّفظة نفسها، ثم في إعادتها وتكرارها، واتّبع ذلك بغثاثة في البيت الثّاني، وتكرار تغثّ، فلست تجد ما تزيد على هذين البيتين في القبح.

ولم يزل النّاس على وجه الدّهر منكرين قول امرئ القيس بن حجر:

أَلَا إِنَّنِي بَالٍ عَلَى جَمَلٍ بَالٍ ... يَقُودُ بِنَا بَالٍ وَيَتْبَعُنَا بَالِ

وهو لعمري قبيح، وإن كان بيت هذا الفنّ الذي لا غاية وراءه في القبح قول مسلم بن الوليد الأنصاري:

سُلَّتْ وسُلَّتْ ثم سُلَّ سَليلها ... فَأَتَى سَليلُ سَليلها مَسْلولا

ولولا أنّ هذا البيت مروي لمسلم، وموجود في ديوانه، لكنت أقطع على أن قائله أبعد النّاس ذهناً، وأقلهم فهماً، وممّن لا يعدّ في عقلاء العامّة فضلاً عن عقلاء الخاصّة؛ ولكنّي أخال خطرة من الوسواس أو شعبة من البرسام عرضت له وقت نظم هذا البيت، فليته لمّا عاد إلى صحة مزاجه، وسلامة طباعه، جحده فلم يعترف به، ونفاه فلم ينسبه إليه، وما أضيف هذا وأمثاله إلاّ إلى عوز الكمال في الخلقة، وعموم النّقص لهذه الفطرة" (ابن سنان الخفاجي، 1982م، ص ص 103 - 105).

ولا يعني هذا أنّ الخفاجي يردّ كلّ تكرار يرد في الكلام؛ بل إنّ التّكرار ليس بقبيح إذا كان المعنى المقصود لا يتم إلاّ به، من غير حشو ولا تكلّف؛ وعلى هذا الأمر يجب أن يحمل كلّ تكرار يجري المجرى نفسه؛ ذلك أنّ المعنى مبنيّ عليه ومقصور على إعادة اللّفظ بعينه، وقد تحدث في موضع آخر عن حدّ التّكرار قائلا: "وهذا حدّ يجب أن تراعيه في التّكرار؛ فمتى وجدت المعنى عليه، ولا يتمّ إلاّ به، لم يحكم بقبحه، وما خالف ذلك قضيت عليه بالاطراح، ونسبته إلى سوء الصناعة" (ابن سنان الخفاجي، 1982م، ص 107)، وقد مثّل ابن سنان بقول أبي الطّيب[7]:

وَأَنتَ أَبو الهَيجا اِبنُ حَمدانَ يا اِبنَهُ ... تَشابَه مَوْلُود كَريمٌ وَوالِدُ
وَحَمدانُ حَمدونٌ وَحَمدون حارِثٌ ... وَحَارِثُ لُقْمَانٌ وَلُقمانُ راشِدُ

فقال: "فليس هذا التّكرار عندي قبيحاً؛ لأنّ المعنى المقصود لا يتمّ إلاّ به، وقد اتّفق له أنّ ذكر أجداد الممدوح على نسق واحد من غير حشو ولا تكلّف؛ لأنّ أبا الهيجاء هو عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد، ولو ورد هذا الكلام نثراً لم يزد على هذه الصفة، فلمّا عرض في هذا التّكرار معنى لا يتمّ إلاّ به، سهل الأمر فيه، وكان البيت مرضياً غير مكروه، وعلى ذلك يجب أن يحمل كلّ تكرار يجرى هذا المجرى" (ابن سنان الخفاجي، 1982م، ص 102).

6. التّكرار عند الزّركشي

ذكر بدر الدّين الزّركشي (ت 794هـ) التَّكْرَارَ في "الْقِسْم الرَّابِعَ عَشَرَ" من أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ وَفُنُونِهِ الْبَلِيغَةِ[8]، وقد جعل التّكرار أحد اللّبنات المهمّة، والرّكائز الأساسية لبناء صرح الكلام الفصيح، وجعله أسلوبا من أساليب البلاغة، وبابا من أبواب العلم الذي يولج من خلاله إلى البلاغة.

يقول الزّركشي: "وَقَدْ غَلِطَ مَنْ أَنْكَرَ كَوْنَهُ مِنْ أَسَالِيبِ الْفَصَاحَةِ، ظَنًّا أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ لَهُ، وَلَيْسَ كذلك؛ بل هو من محاسنها، لاسيما إِذَا تَعَلَّقَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَذَلِكَ أَنَّ عَادَةَ الْعَرَبِ فِي خِطَابَاتِهَا إِذْ أَبْهَمَتْ بِشَيْءٍ إِرَادَةً لِتَحْقِيقِهِ وَقُرْب وُقُوعِهِ أَوْ قَصَدَتِ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ كَرَّرَتْهُ تَوْكِيدًا، وَكَأَنَّهَا تُقِيمُ تَكْرَارَهُ مَقَامَ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ، أَوْ الِاجْتِهَاد فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهِ حَيْثُ تَقْصِدُ الدُّعَاءَ ...

وَعَلَى ذَلِكَ يَحْتَمِلُ مَا وَرَدَ مِنْ تَكْرَارِ الْمَوَاعِظِ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَجْبُولٌ مِنَ الطَّبَائِعِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَكُلُّهَا دَاعِيَةٌ إِلَى الشَّهَوَاتِ، وَلَا يَقْمَعُ ذَلِكَ إِلَّا تَكْرَارُ الْمَوَاعِظِ وَالْقَوَارِعِ" (الزركشي، 1957م، ج3، ص 9).

1.6. تعريف التّكرار

تكمن حَقِيقَةُ [التَّكرَار] عند الزركشي فِي "إِعَادَةُ اللَّفْظِ أَوْ مُرَادِفِهِ لِتَقْرِيرِ مَعْنًى خَشْيَةَ تَنَاسِي الْأَوَّلِ لِطُولِ الْعَهْدِ بِهِ، فَإِنْ أُعِيدَ لَا لِتَقْرِيرِ الْمَعْنَى السَّابِقِ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ"

(الزركشي، 1957م، ج3، ص 9).

2.6. الحكمة في التّكرار

بين الزّركشي أنّه "يَحْسُنُ سُؤَالُ الْحِكْمَةِ عَنِ التَّكْرَارِ إِذَا خَرَجَ عَنِ الْأَصْلِ، أَمَّا إِذَا وَافَقَ الْأَصْلَ فَلَا"، وَلِهَذَا مثّل الزّركشي بقوله: "لَا يَتَّجِهُ سُؤَالُهُمْ لِمَ كَرَّرَ "إِيَّاكَ" فِي قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5)، فَقِيلَ: إِنَّمَا كُرِّرَتْ لِلتَّأْكِيدِ، كَمَا تَقُولُ "بين زيد وَبَيْنَ عَمْرٍو مَالٌ"، وَقِيلَ: إِنَّمَا كُرِّرَتْ لِارْتِفَاعِ أَنْ يُتَوَهَّمَ إِذَا حُذِفَتْ أَنَّ مَفْعُولَ "نَسْتَعِينُ" ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ وَاقِعٌ بَعْدَ الْفِعْلِ، فَتَفُوتُ إِذْ ذَاكَ الدَّلَالَةُ عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بِتَقْدِيمِ الْمَعْمُولِ عَلَى عَامِلِهِ" (الزركشي، 1957م، ج3، ص 11).

3.6. أنواع التّكرار في القرآن الكريم: ذكر الزّركشي للتّكرار أنواعا كثيرة وهي:

1.3.6. قد يَكُونُ التَّكْرَارُ مَرَّتَيْنِ: كَقَوْلِهِ: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قدر﴾ (المدثر 19: 20)، وجعل **"فَائِدَتَهُ الْعُظْمَى التَّقْرِير، وَقَدْ قِيلَ: الْكَلَامُ إِذَا تَكَرَّرَ تَقَرَّرَ"** (الزركشي، 1957م، ج3، ص 10) ؛ ولم يقم الأمر عند بيان هذه الفائدة لوحدها فقط؛ بل ذكر "لَهُ فَوَائِد أُخَر" وهي كثيرة:

1.1.3.6. التَّأْكِيدُ: التَّكْرارَ أَبْلَغُ مِنَ التَّأْكِيدِ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي تَكْرَارِ التَّأْسِيسِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ التَّأْكِيدِ، فَإِنَّ التَّأْكِيدَ يُقَرِّرُ إِرَادَةَ مَعْنَى الْأَوَّلِ وَعَدَمَ التَّجَوُّزِ (الزركشي، 1957م، ج 3، ص 11)، فَلِهَذَا قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(الكوثر 3: 4)، إِنَّ الثَّانِيَةَ تَأْسِيسٌ لَا تَأْكِيدٌ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ الثَّانِيَةَ أَبْلَغَ فِي الْإِنْشَاءِ فَقَالَ: وَفِي (ثُمَّ) تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْذَارَ الثَّانِيَ أَبْلَغُ مِنَ الأوّل(الزمخشري جار الله، 1407هـ، ج3، ص13).

2.1.3.6. زِيَادَةُ التَّنْبِيهِ عَلَى مَا يَنْفِي التُّهْمَةَ لِيَكْمُلَ تَلَقِّي الْكَلَامِ بِالْقَبُولِ (الزركشي، 1957م، ج3، ص 9) وَمِنْهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (غافر 38: 39)؛ فَإِنَّهُ كَرَّرَ فِيهِ النِّدَاءَ لِذَلِكَ.

3.1.3.6. إِذَا طَالَ الْكَلَامُ وَخُشِيَ تَنَاسِي الْأَوَّلِ أُعِيدَ ثَانِيًا تَطْرِيَةً لَهُ وَتَجْدِيدًا لِعَهْدِهِ

(الزركشي، 1957م، ج3، ص 14)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ (المؤمنون: 35)، فقوله: ﴿أَنَّكُمْ﴾ الثّاني بناء على الأوّل إذ تكرر بِهِ خَشْيَةَ تَنَاسِيهِ.

4.1.3.6. فِي مَقَامِ التَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ (القدر 02:01).

5.1.3.6. فِي مَقَامِ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ (الزركشي، 1957م، ج3، ص 17)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (التكاثر03: 04)، وَذِكْرُ "ثُمَّ" فِي الْمُكَرَّرِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْذَارَ الثَّانِيَ أَبْلَغُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى تَكَرُّرِ ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَإِنْ تَعَاقَبَتْ عَلَيْهِ الْأَزْمِنَةُ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ تَغْيِيرٌ؛ بَلْ هُوَ مُسْتَمِرٌّ دَائِمًا.

6.1.3.6. التَّعَجُّبُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قدر﴾ (المدثر19: 20)، فَأُعِيدَ تَعَجُّبًا مِنْ تَقْدِيرِهِ وَإِصَابَتِهِ الْغَرَضَ عَلَى حَدِّ قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْجَعَهُ!

7.1.3.6. لِتَعَدُّدِ الْمُتَعَلَّقِ (الزركشي، 1957م، ج3، ص 18)، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(الرحمن)، فَإِنَّهَا وَإِنْ تَعَدَّدَتْ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُتَعَلَّقٌ بِمَا قَبْلَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ بِهَا الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَعَدَّدَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ الَّتِي خَلَقَهَا لَهُمْ، فَكُلَّمَا ذَكَرَ فَصْلًا مِنْ فُصُولِ النِّعَمِ طَلَبَ إِقْرَارَهُمْ وَاقْتَضَاهُمُ الشُّكْرَ عَلَيْهِ، وَهِيَ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ وَصُوَرٌ شَتَّى.

2.3.6. تَكْرَارُ الْإِضْرَاب إِذَا ذُكِرَتْ (بَلْ) بَعْدَ كَلَامٍ مُوجَبٍ فَمَعْنَاهَا الْإِضْرَابُ.

وَهُوَ إِمَّا أَنْ يَقَعَ فِي كَلَامِ الْخَلْقِ وَمَعْنَاهُ: إِبْطَالُ مَا سَبَقَ عَلَى طَرِيقِ الْغَلَطِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ أَوْ أَنَّ الثَّانِيَ أَوْلَى.

وَإِمَّا أَنْ يَقَعَ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ ضَرْبَانِ: **أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مَا فِيهَا مِنَ الرَّدِّ رَاجِعًا إِلَى الْعِبَادِ** كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ (الأنبياء:5). **وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ إِبْطَالًا؛ وَلَكِنَّهُ عَلَى أَنَّهُ قَدِ انْقَضَى وَقْتُهُ، وَأَنَّ الَّذِي بَعْدَهُ أَوْلَى بِالذِّكْرِ**، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (النمل:66).

3.3.6. تَكْرَارُ الْأَمْثَالِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر21: 22).

4.3.6. تَكْرَارُ الْقِصَصِ فِي الْقُرْآنِ (الزركشي، 1957م، ج3، ص 25): كَقِصَّةِ إِبْلِيسَ فِي السُّجُودِ لِآدَمَ، وَقِصَّةِ مُوسَى، وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي الْقَوَاصِمِ: "ذَكَرَ اللَّهُ قِصَّةَ نُوحٍ فِي خَمْسٍ وَعِشْرِينَ آيَةً، وَقِصَّةَ مُوسَى فِي سَبْعِينَ آيَةً"(ابن العربي، ص 235).

4.6. فوائد تكرار القصص في القرآن الكريم: كَرَّرَ الله عزّ وجلّ القصص لِفَائِدَةٍ خَلَتْ عنه في الموضع الآخر وهي أمور:

1.4.6. إِذَا كَرَّرَ اللهُ الْقِصَّةَ زَادَ فِيهَا شَيْئًا، لَمْ يُذْكَرْ فِي الْمَوْضِعِ الذِي قَبْلَهُ أَوْ إِبْدَالَ كَلِمَةٍ بِأُخْرَى لِنُكْتَةٍ وَهَذِهِ عَادَةُ الْبُلَغَاءِ (الزركشي، 1957م، ج3، ص 26)؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ ذَكَرَ الْحَيَّةَ فِي عَصَا مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَذَكَرَهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ثُعْبَانًا؛ فَفَائِدَتُهُ أَنَّ لَيْسَ كُلَّ حَيَّةٍ ثُعْبَانًا، وَهَذِهِ عَادَةُ الْبُلَغَاءِ أَنْ يُكَرِّرَ أَحَدُهُمْ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ، أَوْ قَصِيدَتِهِ كَلِمَةً لِصِفَةٍ زَائِدَةٍ.

2.4.6. أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَسْمَعُ الْقِصَّةَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى أَهْلِهِ، ثُمَّ يُهَاجِرُ بعده آخرون يحكون عَنْهُ مَا نَزَلَ بَعْدَ صُدُورِ الْأَوَّلِينَ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَنْ آمَنَ بِهِ مُهَاجِرِيًّا، فَلَوْلَا تَكَرُّرُ الْقِصَّةِ لَوَقَعَتْ قِصَّةُ مُوسَى إِلَى قَوْمٍ، وَقِصَّةُ عِيسَى إِلَى آخَرِينَ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْقِصَصِ، **فَأَرَادَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- اشْتِرَاكَ الْجَمِيعِ فِيهَا، فَيَكُونُ فِيهِ إِفَادَةُ الْقَوْمِ وَزِيَادَةُ [تَأْكِيدٍ وَتَبْصِرَةٍ]، لِآخَرِينَ وَهُم الْحَاضِرُونَ.**

3.4.6. تَسْلِيَتُهُ **لِقَلْبِ النَّبِيِّ** -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- مِمَّا اتَّفَقَ لِلْأَنْبِيَاءِ مِثلهُ مَعَ أُمَمِهِم قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود:120) ، **وكذا التثبيت له عليه السلام والمؤمنين، والمواعظة والتخويف لهم والرغبة في طاعةِ اللهِ والانزجارِ عن معصيتهِ،** قال اللهُ سبحانه:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ

وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان:32).

4.4.6. أَنَّ إِبْرَازَ الْكَلَامِ الْوَاحِدِ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ وَأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ لَا يَخْفَى مَا فِيهِ مِنَ الْفَصَاحَةِ.

5.4.6. أَنَّ الدَّوَاعِيَ لَا تَتَوَفَّرُ عَلَى نَقْلِهَا كَتَوَفُّرِهَا عَلَى نَقْلِ الْأَحْكَامِ، فَلِهَذَا كُرِّرَتِ الْقِصَصُ دُونَ الْأَحْكَامِ.

6.4.6. أَنْزَلَ اللَّهَ تَعَالَى هَذَا الْقُرْآنَ وَعَجَزَ الْقَوْمُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِ آيَةٍ لِصِحَّةِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **ثُمَّ بَيَّنَ وَأَوْضَحَ الْأَمْرَ فِي عَجْزِهِمْ بِأَنْ كَرَّرَ ذِكْرَ الْقِصَّةِ فِي مَوَاضِعَ إِعْلَامًا بِأَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، بِأَيِّ نَظْمٍ جَاءُوا، بِأَيِّ عِبَارَةٍ عَبَّرُوا**[9].

7.4.6. لَمَّا سَخِرَ الْعَرَبُ بِالْقُرْآنِ قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ** وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:23)، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ **قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ** وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود:13)، فَلَوْ ذَكَرَ قِصَّةَ آدَمَ مَثَلًا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ وَاكْتَفَى بِهَا لَقَالَ الْعَرَبِيُّ بِمَا قَالَ الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:23)، إِيتُونَا أَنْتُمْ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَأَنْزَلَهَا سُبْحَانَهُ فِي تَعْدَادِ السُّوَرِ دَفْعًا لِحُجَّتِهِمْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.

8.4.6. أَنَّ الْقِصَّةَ الْوَاحِدَةَ مِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ كَقِصَّةِ مُوسَى مَعَ فِرْعَوْنَ وَإِنْ ظُنَّ أَنَّهَا لَا تُغَايِرُ الْأُخْرَى **فَقَدْ يُوجَدُ فِي أَلْفَاظِهَا زِيَادَةٌ وَنُقْصَانٌ وَتَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَتِلْكَ حَالُ الْمَعَانِي الْوَاقِعَةِ بِحَسَبِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ، فَأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ لَا بُدَّ وَأَنْ تُخَالِفَ نَظِيرَتَهَا مِنْ نَوْعِ مَعْنًى زَائِدٍ فِيهِ، لَا يُوقَفُ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْهَا دُونَ غَيْرِهَا، فَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَّقَ ذِكْرَ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا، وَجَعَلَهُ أَجْزَاءً، ثُمَّ قَسَّمَ تِلْكَ الْأَجْزَاءَ عَلَى تَارَاتِ التَّكْرَارِ؛ لِتُوجَدَ مُتَفَرِّقَةً فِيهَا، وَلَوْ جُمِعَتْ تِلْكَ الْقِصَصُ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ لَأَشْبَهَتْ مَا وُجِدَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِنَ انْفِرَادِ كُلِّ قِصَّةٍ مِنْهَا بِمَوْضِعٍ**، كَمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ بِالنِّسْبَةِ لِيُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ – خَاصَّةً، فَاجْتَمَعَتْ فِي هَذِهِ الْخَاصِّيَّةِ مِنْ نَظْمِ الْقُرْآنِ عِدَّةُ

مَعَانٍ عَجِيبَةٍ:

مِنْهَا: أَنَّ التَّكْرَارَ فِيهَا مَعَ سَائِرِ الْأَلْفَاظِ لَمْ يُوقِعْ فِي اللَّفْظِ هُجْنَةً وَلَا أَحْدَثَ مَلَلًا فَبَايَنَ بِذَلِكَ كَلَامَ الْمَخْلُوقِينَ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ أَلْبَسَهَا زِيَادَةً وَنُقْصَانًا وَتَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا لِيَخْرُجَ بِذَلِكَ الْكَلَامِ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُهُ وَاحِدَةً بِأَعْيَانِهَا، فَيَكُونُ شَيْئًا مُعَادًا، فَنَزَّهَهُ عَنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ التَّغْيِيرَاتِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَعَانِيَ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا الْقِصَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ صَارَتْ مُتَفَرِّقَةً فِي تَارَاتِ التَّكْرَارِ فَيَجِدُ الْبَلِيغُ -لِمَا فِيهَا مِنَ التَّغْيِيرِ- مَيْلًا إِلَى سَمَاعِهَا لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ حُبِّ التَّنَقُّلِ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُتَجَدِّدَةِ الَّتِي لِكُلٍّ مِنْهَا حِصَّةٌ مِنَ الِالْتِذَاذِ بِهِ مُسْتَأْنَفَةٌ[10].

وَمِنْهَا: ظُهُورُ الأَمْرِ الْعَجِيبِ فِي إِخْرَاجِ صُوَرٍ مُتَبَايِنَةٍ فِي النَّظْمِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَعْجَبُونَ مِنَ اتِّسَاعِ الْأَمْرِ فِي تَكْرارِ هَذِهِ الْقِصَصِ وَالْأَنْبَاءِ، مَعَ تَغَايُرِ أَنْوَاعِ النَّظْمِ، وَبَيَانِ وُجُوهِ التَّأْلِيفِ، فَعَرَّفَهُمُ اللَّهُ أَنَّ الْأَمْرَ بِمَا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ مَرْدُودٌ إِلَى قُدْرَةِ مَنْ لَا يَلْحَقُهُ نِهَايَةٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (الكهف: 109).

الإحالات

1- الفروق المهمّة بين مفهوم التوّكيد اللّفظي والتكرار كظاهرة لغوية وبلاغية أوردها هنا قصد التمهيد للكلام عن التكرار عند مجموعة من العلماء القدامى: **أوّلا:** التّكرار أوسع دلالة من التّوكيد وأبلغ منه؛ بل التّوكيد عبارة عن دلالة من دلالات ظاهرة التّكرار (أي غرض من أغراضه). **ثانيا:** التّوكيد مرتبط بالكلام القريب منه، المتّصل به، أمّا التّكرار فلا يشترط فيه الاتّصال بينه وبين الكلام السّابق عليه. **ثالثا:** التّكرار من محاسن الفصاحة، والتّوكيد مبحث من مباحث النّحو. **رابعا:** أنّ التّأكيد اللّفظي تتعدّد ألفاظه وكذلك التّكرار إلاّ أنّ هناك فرقا دقيقا وهو أنّ التّأكيد لا يزيد على ثلاثة. **خامسا:** لا يجوز أن تعطف المؤكدات بعضها على بعض، بينما يجوز ذلك في التّكرار. **سادسا:** التأكيد اللفظي يكون بتكرار اللفظ الأول أو بمرادفه نحو قوله تعالى: (ضيقا حرِجا) وقوله (غرابيب سود)، والتّكرار المحض لا يكون كذلك فلا بد فيه من إعادة الألفاظ بعينها ويمكن أن يكون الترادف ولاسيما بين الجمل تكرارا في المعنى، فالتكرار المعنوي لا حدود له، بينما يقتصر التأكيد المعنوي على ألفاظ معينة ومحدودة. **سابعا:** للتّكرار أغراض بلاغية كثيرة، ومعاني عديدة تفهم من سياق الكلام، بينما يأتي التأكيد في أغلب الكلام المكرر غرضا من أغراض التكرار، وأما التوكيد فليس له معنى أو غرض في الغالب إلاّ معاني جانبية قليلة وهي في حقيقتها لا تخرج عن خدمة التكرار. ويفرّق بين التّأكيد اللّفظي والتّكرار بعدة أمور منها: أ- فهم المعنى. ب- فهم الغرض الذي كانت الإعادة من أجله. ج- سياق الكلام. د- الذوق البلاغي والحس النحوي.

2- يعدّ الجاحظ أحد أعلام الأدب العربي، ومالكي زمام اللّغة، ومستأثري ناصية البيان، وله في ذلك أساليب فريدة في كتاباته، والذي يهمنا ها هنا أسلوب ترديد الألفاظ وتكرارها، واشتقاق بعضها من بعض، والاستطراد البليغ في نسجٍ محكمٍ فيه قوّة ودقّة وترابط وانسجام.

3- كذلك إذا جئت بـ"النّفس والعين"، فإنّ لظانّ أن يظنّ حين قلت: فعل زيد، أنّ إسناد الفعل إليه تجوز أو سهو أو نسيان؛ فإذا قلت: "جاءني زيدٌ نفسُه أو عينُه"، فيُزيل التّأكيدُ

ظَنَّ المخاطَب من إرادةِ المَجاز، ويُؤْمِن غفلةَ المخاطب.

4- قال ابن سنان الخفاجي: "إنّ الفصاحة على ما قدّمنا نعت للألفاظ إذا وجدت على شروط عدّة، ومتى تكاملت تلك الشّروط فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ؛ وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف وبوجود أضدادها تستحق الاطّراح والذمّ". (ابن سنان الخفاجي، 1982م، ص 63)

5- أمّا الذي يوجد في اللّفظة الواحدة فثمانية أشياء: الأوّل: أن يكون تأليف تلك اللّفظة من حروف متباعدة المخارج، والثّاني: حسن تأليفها في السّمع، والثّالث: أن تكون غير متوعّرة وحشية، والرابع: أن تكون غير ساقطة عامّية، الخامس: أن تكون عبّر بها على العرف العربي الصحيح غير شاذة، السّادس: ألاّ تكون عبّر بها عن أمر آخر يكره ذكره، السّابع: أن تكون معتدلة غير كثيرة الحروف، الثّامن: أن تكون مصغرة في موضع عبّر بها فيه عن شيء لطيف أو قليل نحوهما. (ابن سنان الخفاجي، 1982م، ص ص 58 - 89).

6- قدّم في هذا المبحث بالحديث عن الكلام في الألفاظ المؤلفة، بيان أن كمال الصناعات بخمسة أشياء ومنها صناعة الكلام، ثم الخلاف في أن صناعة الكلام موضوعها هو الكلام المؤلف أو المعاني واختياره أن الفصاحة عبارة عن حسن التأليف في الموضوع المختار، ثم بيان ما يوجد في التأليف من الأقسام الثمانية في اللفظة المفردة، والأوّل: اجتناب تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام، الثّاني: حسن التأليف في السمع بترادف الكلمات المختارة وتواترها، وبيان أنه لا علاقة للتّأليف بالثالث والرابع إلا بنحو ما في الثاني، الخامس أن يكون التأليف جاريا على العرف العربي الصحيح، وبيان أن التطول في هذا يدخل في صريح النحو، وهلم جرّ ... إلى غاية نهاية الكتاب. (ابن سنان الخفاجي، 1982م، ص ص 92 - 223).

7- هذا البيت موجه لسيف الدولة وقوله حمدان وحمدون إشارة إلى آباء سيف الدولة.

8- قال الزّركشي: "وَشَذَّ بَعْضُهُمْ فَزَعَمَ أَنَّ مَوْضِعَ صِنَاعَةِ الْبَلَاغَةِ فِيهِ إِنَّمَا هُوَ الْمَعَانِي فَلَمْ يَعُدَّ الْأَسَالِيبَ الْبَلِيغَةَ وَالْمَحَاسِنَ اللَّفْظِيَّةَ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمَوْضُوعَ مَجْمُوعُ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ؛ إِذِ اللَّفْظُ مَادَّةُ الْكَلَامِ الَّذِي مِنْهُ يَتَأَلَّفُ، وَمَتَى أُخْرِجَتِ الْأَلْفَاظُ عَنْ أَنْ تَكُونَ

مَوْضُوعًا خَرَجَتْ عَنْ جُمْلَةِ الْأَقْسَامِ الْمُعْتَبَرَةِ، إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ إِلَّا بها، وَهَا أَنَا أُلْقِي إِلَيْكَ مِنْهُ مَا يَقْضِي لَهُ الْبَلِيغُ عَجَبًا، وَيَهْتَزُّ بِهِ الْكَاتِبُ طَرَبًا". (الزركشي، 1957م، ج2، ص 382).

9- إنّ تكرارِ القصةِ والقصصِ المتماثلةِ بالألفاظِ المختلفةِ على الوزنِ الواحد، إنما كرر ذلك لأن لا تقولَ قريشٌ أو بعضُها للنبيِ - صلى الله عليه وسلم - كيف تتحدانا أن نأتي بمثلِ هذا الكلامِ الذي حُكيت به قصةُ نوح وموسى وإبراهيم، وليسَ له لفظٌ يُحكى به ويورده من البحروالوزنِ الذي أوردته إلا اللفظُ الذي بدأت به وسعيت إليه، فإن أوردناه بعينه، قلت: هذا نفسُ ما تلوتهُ عليكم وتحديتكمُ بمثله، وإن طالبتنا بمحاولةِ لفظٍ غيره، فليسَ للقصةِ والمعنى الذي عبرت عنه بهذا الوزنِ من الكلامِ لفظٌ غيرُ الذي أوردته وسَبقتَ إليه فكأنك إذاً تطالبنا بالمحالِ وهذهِ شبهةٌ كما ترى، فأرادَ الله تعالى حسمَ أطماعِ العربِ في التعلُّقِ بذلك فكرر القصة الواحدة، والقصَصَ المتماثلة والمعنى الواحدَ بألفاظٍ مختلفةٍ من بحرٍ واحدٍ وعلى وزنٍ واحدٍ هووزنُ القرآنِ الخارجِ عن جميعِ النظومِ والأوزانِ لِيُعْلِمَهُم اقتدارَه وعظمَ البلاغةِ في كلامِه ويعرفَهم عجزَهُم عن ذلك ويقطعَ به شعثَهم وشُبههم، وهذا من جيّدِ ما يُعتمدُ عليه في فوائدِ التكرارِ. ينظر: (الباقلاني، 2001م، ج2، ص 803).

10- كان الرسول يحتاج إلى إنفاذِ الرسلِ والدعاةِ إلى النواحي والبلدانِ ليدعوا إلى طاعةِ الله وليقرأوا عليهم القرآنَ فأنزلَ الله سيرةَ نبيٍ بعد نبيٍ وقصةً بعد قصةٍ، والقصةُ الواحدة بألفاظٍ مختلفةٍ لِتقرَأ كل قصةٍ على أهلِ ناحية، ولُتقرأ القصةُ الواحدةُ بالألفاظِ المختلفةِ على أهل الأطراف المختلفة، وربما علم أن سماعَ أهلِ النواحي المتغايرةِ القصةَ الواحدةَ يكونُ لُطفاً لهم في الانزجارِ والانقيادِ إلى الإيمانِ فكررها وأنزلها بألفاظ مختلفة على قدرما أراده تعالى وعَلمهَ من اللطف، ثم على سماعِه لتلكَ القصةِ بالألفاظِ المختلفة، وربما كان لطفُ أهل الناحيتينِ والمصيرينِ في استماعِ قصتينِ من قصصِ الرسلِ والإخبارِ بنوعينِ من العقاب، وإن كانت سيرة النبيينِ مع قومهما سواء، وإذا كان ذلك كذلك ساغَ وحَسن منه تعالى تكرارُ القصصِ والقصةِ الواحدةِ على سبيلِ ما وصفناه. ينظر: (الباقلاني، 2001م، ج2، ص 802).

قائمة المصادروالمراجع

- ابن الأثير. (1420ه). *المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر*. محمد محي الدين عبد الحميد(محرر). بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان.(د ت). *الخصائص* (ط4). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن الصانع، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا.(2001).*شرح المفصل للزمخشري*، بديع يعقوب(ناقد). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر. (د ت). *العواصم من القواصم*. عمار طالبي (محرر).مصر: مكتبة دار التراث.
- ابن موسى الحسيني أيوب، أبو البقاء الحنفي.(د ت ن).*الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*، عدنان درويش ومحمد المصري(محررون). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- أبو بكر الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد. (2001). *الانتصارللقرآن*. محمد عصام القضل (محرر). بيروت: دار الفتح. عَمَّان: دار ابن حزم.
- الجاحظ،أبو عثمان بن بحربن محبوب. (1423ه). البيان والتبيين. بيروت: دارومكتبة الهلال.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (1983).*كتاب التعريفات*، جماعة من العلماء(محررون). لبنان: دار الكتب العلمية.
- الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد. (1982). *سر الفصاحة*. دار الكتب العلمية.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله. (1957).*البرهان في علوم القرآن*. محمد أبو الفضل إبراهيم(محرر). دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
- الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو. (1407ه).*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*(ط3).بيروت:دار الكتاب العربي.

- ـــــــــــــــــــ (1993). *المفصل في صنعة الإعراب*. علي بو ملحم (محرر). بيروت: مكتبة الهلال.
- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. (1987).*الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*(ط4). أحمد عبد الغفور عطار(محرر). بيروت: دار العلم للملايين.
- مرتضى الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني *أبو الفيض*.(د.ت).*تاج العروس من جواهر القاموس*. مجموعة من المحققين. دار الهداية.